في أفق السياسة الدولية

المسألة الاستعمارية

والصراع على الأسلاب والغنائم

بقلم باحث دبلوماسي كبير

يظهر أن المسألة الاستعمارية ستغدو في القريب العاجل مسالة المسائل ، وربما لعبت دوراً خطيراً في تطورات السياسة الدولية هذا العام ، وقد كانت مسألة المستعمرات ، خلال الأعوام الأخيرة تبدو في الأفق من آن لآخر ، ولكنها كانت تتخذ صبغة نظرية ؛ بيد أنها منذ غزو إيطاليا للحبشة واستيلائها عليها تتخذ صورة عملية واضحة ؛ وكانت المانيا وإيطاليا هما اللتان تصران على إثارة هذه المسألة الشائكة كلما سنحت الفرص ، أما المانيا فلأنها فقدت كل مستعمراتها السابقة في افريقية وفيما وراء البحار نتيجة لهزيمتها في الحرب الكبرى وتنفيذاً لنصوص معاهدة الصلح ، وأما إيطاليا فلأنها رغم كونها كانت في عداد الحلفاء الظافرين ورغم استيلائها على نصيبها من أسلاب الدول المهزومة . كانت ترى دائماً أنها خدعت من حلفائها ، وأنهم استأثروا دونها بالغنائم الكبرى وخصوصاً في مسألة المستعمرات والأراضي الجديدة ، إذ بينما حصلت فرنسا وانكلترا وبلجيكا على انتدابات وأملاك واسعة في إفريقية وآسيا ، إذا بايطاليا تحرم من كل نصيب في هذا التراث وترغم على الاكتفاء بما منح لها من الأراضي النمسوية القليلة في أوربا ؛ وقد كان هذا الغبن شعار السياسة الفاشستية في الأعوام الأخيرة ، وذريعة إيطاليا في وجوب إعادة النظر في معاهدات الصلح وتعديلها تعديلا يكفل استقرار الأحوال في أوربا ، وحل مسألة الانتدابات والمستعمرات بصورة ترضي الأماني الايطالية ، فلما لم توفق ايطاليا إلى إرضاء مطامعها بطريق المفاوضة والتفاهم ، عمدت إلى طريق القوة ، فنظمت اعتداءها المعروف على الحبشة رغم المعاهدات المعقودة ، واستولت عليها ، وحققت بذلك بعض مطامعها الاستعمارية

وأما المانيا فلم تفكر قبل قيام الحكومة النازية في أن تثير مسألة المستعمرات بصورة جدية ، وإن لم تنقطع منذ معاهدة الصلح عن الشكوى من فداحة شروطها المرهقة ، ولم تنقطع المانيا بالأخص لحظة عن السعي في سبيل التنصل من تبعة الحرب التي اتخذت ذريعة لسحقها وتصفيدها بمثل هذه الفروض والمغارم الفادحة ، وكانت المانيا تثير مسألة المستعمرات من آن لآخر ولكن بصورة نظرية فقط ، فلما قامت الحكومة النازية منذ أربعة أعوام كان برنامجها الواضح أن تنكر معاهدة فرساي برمتها ، وأن تنكر بالأخص الأساس الذي قامت عليه وهو تبعة المانيا في الحرب الكبرى ، وأن تحطم من نصوصها القائمة كل ما يمس السيادة الألمانية أو يغل حقوق المانيا وحرياتها ؛ وقد فازت المانيا الهتلرية في هذه الأعوام القليلة بتحقيق غايتها من نقض معاهدة فرساي وتمزيقها ، وفي نفس الوقت الذي كانت المانيا تنكر فيه تبعة الحرب وتنكر شرعية معاهدة الصلح ، كانت تطالب برد مستعمراتها وتنوه بضرورة هذه المستعمرات لتقدمها الاقتصادي والاجتماعي ؛ ولما نظمت إيطاليا مشروعها لغزو الحبشة كانت المانيا من ورائها تؤيدها بكل ما استطاعت ، لأنها كانت ترى في مشروع ايطاليا دعامة لقضيتها الاستعمارية وذريعة لاثارة المسألة الاستعمارية كلها ؛ ذلك أن غزو إيطاليا للحبشة لم يكن مشروعاً إيطالياً داخلياً فقط ، ولكنه كان يمثل في نفس الوقت طموح الفاشستية إلى التوسع الاقتصادي ، ويمثل بالأخص نزعتها العسكرية المتوثبة ، وهي النزعة التي تضطرم بها المانيا اليوم كما تضطرم ايطاليا ، وقد كان في مثل ايطاليا قدوة صالحة لالمانيا ؛ وكان العام الماضي بالنسبة لألمانيا عام القضاء على معاهدة الصلح وميثاق لوكارنو ، واسترداد المانيا لسيادتها المطلقة في مسائل التسليح ، وفي منطقة الرين الحرام ، أما هذا العام فسيكون بالنسبة لألمانيا عام المستعمرات والمسألة الاستعمارية ، كما تدل على ذلك طوالع السياسة الألمانية الجديدة ومقدماتها

فمنذ أشهر يتحدث زعماء ألمانيا الهتلرية وتتحدث صحفها بشدة عن ضرورة استعادة ألمانيا لمستعمراتها السابقة ، ويقولون إن المسألة فضلا عن كونها مسالة كرامة قومية لأن ألمانيا هي الدولة

العظمى الوحيدة التي حرمت من المستعمرات ، قد أضحت في نفس الوقت بالنسبة لألمانيا ضرورة اقتصادية واجتماعية ، لأن سكان ألمانيا يزيدون بسرعة وألمانيا لا تستطيع الحصول على المواد الأولية اللازمة لصناعاتها إلا بالشراء واستنزاف موارد ثروتها القومية ، وهي حالة تهدد كيانها الاقتصادي ؛ وقد رأينا الدكتور شاخت زعيم ألمانيا الاقتصادي يهدد أوربا بالانفجار إذا لم تحقق ألمانيا أمانيها الاستعمارية ، ورأينا الجنرال جيرنج رئيس الحكومة البروسية يصف اقتطاع الحلفاء للمستعمرات الألمانية بأنه سلب وسرقة صريحة؛ وقد كانت هذه كلها تمهيدات عنيفة للخطوة الرسمية التي تزمع ألمانيا أن تتخذها في سبيل المسألة الاستعمارية ؛ وفي ٣٠ يناير الماضي أعلن الهير هتلر زعيم الدولة الألمانية في خطابه الرسمي الذي ألقاه في مجلس الريخستاج لمناسبة الذكرى الرابعة لتولي النازي الحكم مطالب ألمانيا الصريحة في سبيل استرداد مستعمراتها وبذلك اتخذت ألمانيا في هذه المسألة موقفها الرسمي الصريح ؛ ولم يمض على تصريح الهير هتلر أيام قلائل حتى كان صدى المطالب الألمانية يتردد في دوائر باريس ولندن ، وحتى وقعت المقابلة الأولى بين الهيرفون ريبنتروب السفير الألماني في لندن ، وبين اللورد هاليفاكس القائم بأعمال وزير الخارجية البريطانية ، وفيها بسط السفير الألماني وجهة نظر حكومته في مسألة المستعمرات

ويجب أن نذكر إلى جانب ذلك كله موقف ألمانيا من المسألة الاسبانية وهو موقف وثيق الصلة بمطالبها ومشاريعها الاستعمارية ؛ فقد اشتركت ألمانيا مع إيطاليا والبرتغال في تدبير الثورة الاسبانية القائمة ، وعاونت زعيمها الجنرال فرانكو بالرجال والذخائر ، واعترفت بحكومته أي بحكومة برجوس الفاشستية ، ولألمانيا عدة سفن حربية في المياه الاسبانية تعاون مشاريع الثوار ؛ وقد أذيع في الأسابيع الأخيرة أن ألمانيا استطاعت أن تحصل من الجنرال فرانكو على امتيازات عظيمة لاستغلال مناجم النحاس وغيره في أنحاء كثيرة من اسبانيا ؛ وقد ذهبت ألمانيا إلى أبعد من ذلك فحاولت بالتفاهم مع الجنرال فرانكو أن تحتل مراكش الاسبانية ، وأنزلت فيها بعض قواتها فعلا ؛ ولم يك ثمة شك في الغايات الاستعمارية المباشرة أو غير المباشرة التي تعلقها ألمانيا على هذه الحركة التي ذكرتنا بحادث أغادير في سنة ١٩١٢ ، وهو الحادث الذي استغلته ألمانيا يومئذ لمصالحها الاستعمارية ؛ بيد أن ألمانيا اضطرت إزاء حزم فرنسا وما أبدته من الاستعدادات البحرية العظيمة في المياه الاسبانية وما همت به من اتخاذ الاجراءات العسكرية السريعة في مراكش وعلى حدود اسبانيا الشمالية أن تتراجع في مشروعها وأن تؤكد أنها لا ترمي إلى أية غاية استعمارية في مراكش الاسبانية أو في اسبانيا ذاتها

والآن ما هي الاحتمالات التي يمكن أن تسفر عنها حركة ألمانيا في سبيل المستعمرات ؟ ان ألمانيا تتقدم بمطالبها الى جميع الدول التي استولت على أملاكها السابقة في إفريقية وفيما وراء البحار ، وهي انكلترا وفرنسا وبلجيكا واليابان ؛ وهي تتقدم الى انكلترا بصفة خاصة لأنها وضعت يدها على اكبر قسم من هذه التركة ، ولأن موقفها من المسألة قد يغدو مفتاح الموقف كله ؛ وقد كانت السياسة البريطانية تتوقع هذه الخطوة من ألمانيا منذ أشهر ، ولهذا فقد بحثت المسألة ، وانتهت فيها على ما يلوح الى خطة معينة لم تتضح قواعدها بعد . بيد أنا نستطيع أن نتبين موقف السياسة البريطانية من بعض التصريحات الرسمية والتعليقات غير الرسمية ؛ وقد أدلى السير صمويل هور وزير الخارجية البريطانية السابق ، منذ اكثر من عام خلال مناقشات عصبة الأمم في المسألة الحبشية بأول رأي واضح لانكلترا في المسألة الاستعمارية وهو ان انكلترا مستعدة لأن تنظر في مسألة تنظيم توزيع المواد الأولية تنظيما يكفل توزيعها بصورة اكثر عدالة و رضاء للدول المحرومة منها ؛ أما عن التخلي عن المستعمرات ذاتها أو اعادة شيء منها الى ألمانيا، فقد صرح مستر ايدن وزير الخارجية الحالي ، وكذلك مستر بلدوين رئيس الوزارة اكثر من مرة في مجلس العموم ، بان انكلترا لا تنوي التخلي عن أية مستعمرة أو منطقة يظللها العلم البريطاني ؛ بيد أنه يلوح لنا أن السياسة البريطانية قد تقدمت أخيرا خطوة أخرى في سبيل بحث المسألة الاستعمارية ، وهو أنها مع عدم استعدادها لبحثها من الوجهة الشخصية ، فانها على استعداد لبحثها من الوجهة الدولية العامة ، اعني من حيث ارتباطها بالسلام الاوربي ، ووضع تسوية عامة للمسائل الدولية والأوربية

يستقر معها السلم بصورة نهائية ؛ ومن هذه مسألة تحديد السلاح ، وتامين الحدود المختلفة ، وحل المشكلة الأسبانية وغيرها ؛ وهذا ما تاباه المانيا ، لأنها لا تقبل المساومة فى أى مسألة تتعلق بسيادتها وحرياتها فى العمل ، وتصر على أن تنظر المسألة الاستعمارية فى ذاتها ؛ وهى تجد فى انكلترا ذاتها بعض المؤيدين لنظريتها ، فقد رأينا مستر جارفن الكاتب السياسى الكبير ينصح باعادة مستعمرات ألمانيا اليها ، ويقول ان مسألة المستعمرات لا تستحق ان تكون مثارا للحرب بين الدول العظمى

ولا ريب أن المسألة لا يمكن ان تحل بمثل هذه السهولة ؛ فانكلترا لا تقبل مطلقا أن ترد لالمانيا مثلا شرق افريقية الألمانى وبذا تعيدها خصما منافسا لها فى شرق أفريقية الى جانب ايطاليا الفاشستية ، أو تعيد اليها غرب أفريقية الألمانى فتهدد بذلك سلامة امبراطوريتها فى جنوب أفريقية وفى أواسطها ، أو مستعمرة غانه الجديدة فتهدد مواصلاتها مع استراليا ؛ وقد كانت هذه أهم مستعمرات المانيا السابقة . وليست فرنسا أقل تمسكا من انكلترا بما وضعت يدها عليه من تراث المانيا السابق فى الكمرون وفى توجولاند ؛ والنظرية الفرنسية فى مسألة المستعمرات معروفة ، خلاصتها أن فرنسا لا تقبل مطلقا أن تعيد الى المانيا أية مستعمرة أو أراض تستغلها المانيا فى سبيل تدعيم قواتها ومشاريعها العسكرية ، ولا تنظر فى مسألة المستعمرات الا اذا ارتبط البحث فيها بمسألة السلامة العامة ، واسفر عن ضمانات جديدة مؤكدة تقدمها المانيا فى هذا السبيل

والخلاصة أن مسألة المستعمرات هى مسألة اليوم ، وهى طور جديد من أطوار الصراع التى تثيره ألمانيا الهتلرية فى سبيل استرداد مكانتها القديمة كاملة شاملة وفى سبيل تدعيم مشاريعها الاقتصادية والعسكرية ؛ وقد يؤدى البحث فيها إلى بحث الموقف الأوربى كله ، ويؤدى إلى تسوية دولية عامة ؛ وقد يقف البحث فيها عند الخطوات التمهيدية إذا أصرت ألمانيا على وجهات نظرها المعروفة من رفض البحث فى مسألة تحديد التسليح ، والاصرار على وجوب ابعاد روسيا عن حظيرة الدول الأوربية ، وعندئذ تتعقد المشكلة الأوربية ، ويصعب التكهن بما قد يفضى إليه هذا التعقيد من التطورات

ويجدر بنا أن نشير أخيراً إلى أن هذه الشهوة المضطرمة التى تحدو الدول الفاشستية ، وتحدو ألمانيا إلى السعى لامتلاك المستعمرات لا ترجع إلى بواعث اقتصادية واجتماعية حسبما تصورها لنا السياسة الفاشستية ، فان الاحصاءات تدل على أن المستعمرات تغدو فى أحيان كثيرة ، عبئاً اقتصادياً ، وقد لا يهاجر إليها من البيض سوى آلاف قليلة لا تؤثر فى تخفيف مشكلة السكان فى البلد الأصلى ، وأكثر ما ترجع هذه الشهوة إلى بواعث سياسية وعسكرية فوق ما ترجع إليه من الاطماع المادية والاقتصادية ؛ وهى نفس البواعث التى تحمل الدول الأخرى على الاحتفاظ بتراثها الاستعمارى الشاسع ، وهى فى الواقع معركة الغنائم والأسلاب الخالدة ؛ فاذا كانت ألمانيا قد فقدت مستعمراتها فى حرب كبرى هزمت فيها وسحقت ، فمن الصعب أن تتوقع عود هذه المستعمرات إليها غنيمة باردة ، وعليها إما أن تبذل الثمن المناسب ، وإما أن تخوض حرباً تحرز فيها النصر ، وعندئذ تستطيع أن تملى شروطها ، كما أملى عليها الظافرون شروطهم بالأمس ، وهذا ما نستبعد وقوعه فى الظروف الحاضرة

(٠٠٠)

الفاروق عمر بن الخطاب

[ثاني الخلفاء الراشدين وأول حاكم ديموقراطى فى الاسلام]

تأليف الأستاذ محمد رضا

يبحث عن حياة سيدنا عمر بن الخطاب ومناقبه وكلماته وخطبه ورسائله وفتوح الفرس والشام ومصر فى خلافته ومصرعه ٠٠٠ الخ ويليه فهارس تحليلية علمية بأسماء القبائل والرجال والنساء فهو أدق وأوفى كتاب يجمع سيرة أمير المؤمنين وعهده الزاهر الذي صار مضربا للأمثال فى العدل ٠ والكتاب مطبوع طبعا متقنا على ورق مصقول فى ٣٥٠ صفحة من القطع الكبير

ويطلب من المكتبة المحمودية التجارية بميدان الأزهر صندوق بوستة برقم ٥٠٥ مصر وثمنه ١٥ قرشا لمصر والسودان و ٤ شلنات و ٢٠ فرنكا للخارج